**مصادر الرحلة والجغرافيا**

## **1/- مفهوم الرحلة والجغرافيا:**

 من الضروري أن نعرج أولا على مفهوم الرحلة والجغرافيا ووجودهما في الفكر الإسلامي:

### **1/أ- الرحلة:**

 الأصل في القول: ارتحل البعير رحلة أي سار ومضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، أي: انتقلوا، والرحلة تعني الانتقال وهي اسم للارتحال للمسير[[1]](#footnote-1)، وهو ما يوافق ممارسة العرب للرحلة وانتقالهم بين البلدان وتسجيلهم لمشاهداتهم بها، حتى غدت ثقافة راسخة و"رغبة في ارتياد المجهول وتقصي الحقيقة وطلب العلم والمعرفة من مواطنها الأصلية"[[2]](#footnote-2)، ونظرا للتأثر بمختلف العلوم مثل الفلك والجغرافيا والعودة إلى ما دونته الشعوب السابقة أصبحت الرحلة لونا من ألوان المعرفة التي يتطلع العرب إلى معرفتها.

## **1/ب- الجغرافيا:**

 تعني الجغرافيا: العلم الذي يعنى بتحديد المسافات، وتقسيم العالم إلى أقاليم وفقا لأسس معينة منها ما هو مرتبط بعلم الفلك، وطبيعة البشر، ونوع النبات وغيرها من الأمور التي تبرز عند الوصف، وإن كان هناك الكثير من الباحثين لا يفرقون بين الرحلة والجغرافيا في بحوثهم ودراساتهم رغم تداخلهما وتشابههما، إلا أن الرحلة في الغالب تحوي العديد من المعلومات الجغرافية، لكن ليس بالضرورة كل جغرافي رحالة، وليس كل رحالة عالم جغرافيا، ويرجع ذلك في الغالب إلى مستوى ثقافة الرحالة وسبب رحلته والهدف منها.

 فقد تظافرت دواعي وأسباب مختلفة حظّت الناس على الرحلة ويسرت أمرها، فكثرت الرحلات وتنوعت بتنوع حوافزها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ وراج أدب الرحلات وراجت معه تأريخ المغامرات ومختلف مشاهدات الرحالة في أصقاع العالم. فقد شغلت حيزا كبيرا من الحركية الفكرية والثقافية للشخصية الإسلامية وذلك لأسباب علمية مثل: الرحلة العلمية وزيارة الحواضر، أو اقتصادية (تجارة) أو لأسباب سياسية (السفارات التجسس) أو المشاهدة والمغامرة والاكتشاف...

وقد نتجت عنها عدة أنواع:

* هناك رحلة تصنف الأقاليم والبلاد وما حوت من مشاهدات وغرائب
* رحلة هدفها زيارة البيت العتيق مثل رحلة ابن تومرت هدفها الحج وزيارة الحواضر الثقافية والعلمية
* رحلة لقاء العلماء ومذاكرتهم والأخذ عنهم
* رحلة هدفها السفارة وربط أواصر الصداقة
* رحلة هدفها المغامرة واكتشاف العالم
* رحلة هدفها التجارة والربح في الغالب يصاحبها نشر الدين
* رحلة هدفها بسط السلطان (توسيع النفوذ بأي شكل مثلا: ابن حوقل)

بالنسبة للنوع الأول: الجغرافيا الوصفية الإقليمية ألفت لهدف جغرافي وهو الأكثر جذبا للباحثين، ذلك أن هذا المجال من التأليف جاء نتيجة الاتساع الجغرافي للعالم الإسلامي وما صاحبه من تلاقح للأفكار ونمو العلوم وازدهارها، وكان ذلك متزامنا مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية.

إن الاهتمام بعلم الجغرافيا كان نتيجة لحاجات متعددة:

* تسهيل الطريق لأداء فريضة الحج.
* الرغبة في توطيد دعائم الدولة (وهو السبب الذي أدى إلى ظهور نوع مهم من المصادر الجغرافية وهو المسالك والممالك) خاصة بعد الفتوحات لتسهيل رسم حدود الدولة وتحديد خراجها.
* تسهيل الصلات بين مركز الخلافة وسائر أطرافها "فكان يشق طرق جديدة للمواصلات واستيفاء معلومات دقيقة عن تلك الطرق مع تعداد المراحل ومنازل البريد وتحديد المسافاة وظروف السفر..." هذا من الإفرازات الأولى لعلم الجغرافيا عند العرب، هذا فضلا عن الدوافع العلمية المتمثلة في توسيع دائرة المعارف والرغبة في التأليف في كل فروع المعرفة.

## **2/- نشأة وتطور الفكر الجغرافي في الحضارة الإسلامية:**

 رغم ظهور الكثير من الآراء التي تعمل من أجل ترسيخ فكرة تأثير الفكر اليوناني على اهتمام العرب بهذا النوع من التأليف[[3]](#footnote-3)، إلا أن ذلك لا يعني جهلهم التام بوصف البلدان والمدن والطرق، فقد عرفوا ذلك مبكرا موازيا للفتوحات، ومنظما لعملية الخراج والجزية، منذ العصر الراشدي[[4]](#footnote-4)، مع ضرورة التأكيد على أن علم الجغرافيا جذوره ضاربة عند العرب قبل مجيء الإسلام.

 فقد كانت معرفتهم لعلم الجغرافيا قديمة أي قبل مجيء الإسلام وما ذكر في أشعارهم أكبر دليل على ذلك، فقد كان تجوالهم في شبه الجزيرة العربية وفي رحلاتهم يحتاج إلى تحديد المواقع والمسافات فاستخدموا النجوم للاهتداء بها وقد أثبت العلم الحديث صحة القواعد الفلكية التي كانوا يعتمدون عليها، حتى أن هناك من اعتقد بأن لهم مؤلفات في هذا المجال[[5]](#footnote-5)؛ خاصة أن العرب عرفوا بالترحال للاسترزاق والتجارة والخوض في تجارب المغامرة، وقد أشار القرآن إلى ذلك في رحلتي الشتاء والصيف.

 ومع نزول الشريعة الإسلامية وانتشارها جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحث على الرحلة والتفكر في خلق الله وركوب البحر وغيرها، كما نجد في أفعال وقرارات الرسول صلى الله عليه وسلم ما يشجع على الرحلة ويحث عليها، فقد يلجأ إليها المسلم خوفا على دينه وهروبا به عن طريق الهجرة، وتعد الرحلة إلى أرض الحبشة أولا ثم الهجرة إلى المدينة ضمن ثقافة وفكر التنقل الراسخ في الذهنية العربية ثم الإسلامية بعد ذلك[[6]](#footnote-6).

 رغم وجود روايات ونصوص تؤكد التنظيم الإداري المبكر لدولة الإسلام من بينها اتباع نظام البريد من خلال البعثات التي تأتي بأخبار الطريق وما يؤمن السفر والترحال خاصة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[[7]](#footnote-7)، إلا أن الفترة المهمة التي بدأ معها نظام المراقبة بشكل واضح ترتبط بعهد عمر بن الخطاب حتى قيل أنه: "كان لعمر عيون على الناس عجيبة"، وقد تطور نظام البريد واكتملت معالمه في عهد الأمويين حين قاموا بعمارة الطريق وصنعة الأميال من دمشق زمن إيليا إلى جنوب الشام، ورغم إهمال الجغرافيين الأوائل لذكر هذه العمارة إلا أن المقدسي تحدث عن المسافات بين المدن والحواضر مستعملا بريد كوحدة قياس (تقدر ب: 12 ميلا) ما يدل على أن للتنظيم الإداري أهمية ومساهمة في تنمية وتغذية الفكر الجغرافي وتسهيل الرحلات بمختلف أشكالها[[8]](#footnote-8).

 وقد أفرز التخطيط الإداري اهتماما واسعا بتحديد المسالك والممالك حتى غدا فرعا مستقلا من فروع علم الجغرافيا، وقد ساعد على تطوره إنشاء ديوانا خاصا في العصر العباسي سمي: "ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب" وهو مرفق ترعاه الدولة وتضمن تأمينه وقد حددته بالأميال تطمينا وإيناسا لسالكيه، وكانت هذه الأميال كما يصفها ياقوت الحموي: "مبنية في عشرة أذرع أو قريبا من ذلك، وغلظها مناسب لطولها"[[9]](#footnote-9)، ومع اتساع تيار الترجمة لعلوم اليونانيين والإغريق والفرس وازدهار العلوم وظف العرب والمسلمون علم الرياضيات والفلك لصالح علم الجغرافيا وألفوا في ذلك[[10]](#footnote-10).

 بالنسبة للأدب الجغرافي خلال الحضارة الإسلامية فأقدم من اشتهر في التأليف في هدا المجال هو ابن الكلبي (217ه/832م)[[11]](#footnote-11) في القرن الثالث الهجري كتاب: "البلدان الكبير" وكتاب "البلدان الصغير" كتاب "الأقاليم والأنهار" كتاب "اشتقاق الدول" لم يصلنا من هذه المصادر إلا نصوص متناثرة نقلها إلينا الرحالة والجغرافيون الذين جاؤوا بعدهم. إن بوادر نضج الجغرافيا كعلم أخذ في الظهور مع النصف الثاني من القرن 3ه/9م بعد ازدهار الترجمة والاطلاع على أفكار بطليموس ومارينوس وغيرهم، ويعتبر كتاب ابن خردذابة (282ه/885م) "المسالك والممالك" المصنف الأول الذي عبر عن ذلك ويبدو أنه نقل عن البلخي (322ه/934م)، وبعد سنة 290ه/903م ألف ابن رسته من أصفهان كتابه "الأعلاق النفيسة" لفائدة أمناء سر الخلافة أو كتاب الدواوين وقد اعتبر أكثر توسعا وشمولا من الأول مع أنه لم يصلنا إلا جزءً منه، وفي نفس السياق كتب قدامة بن جعفر كتابه "كتاب صناعة الكتابة" لصالح التنظيم الإداري (320ه/932م) [[12]](#footnote-12).

 تمثل الفترة الممتدة بين القرنين 3 و5ه/ 9-11م حتى منتصف القرن 6ه/12م مرحلة الاهتمام العلمي الدقيق بالجغرافيا، واشتهرت أغلب المؤلفات بالمسالك والممالك، وأشهر الجغرافيين في هذا المجال الاصطخري، ابن خردذابة، المسعودي، والوراق، اليعقوبي، المقدسي، ابن حوقل، الإدريسي...، في حين أن ما بعد هذه الفترة إلى غاية القرن 10ه أصبح الاهتمام بعلم الجغرافيا نظريا أكثر منه تطبيقي؛ أي: أن الجغرافيين أصبحت كتبهم عبارة عن معاجم ينقلون فيها ما كتب سابقيهم عن الأقاليم والأمصار الموجودة في العالم الإسلامي، كما أخذت طابع الخرافة وجمع الغرائب والقصص المحلية مثل: ياقوت الحموي، القزويني، ابن بطوطة، الحميري...

### **3/- أهمية مؤلفات الرحلة والمعاجم الجغرافية في دراسة التاريخ الإسلامي:**

 نظرا للكم الهائل والنوع المميز للتراث الفكري الجغرافي وكتب تقويم البلدان وغيرها، فالباحث أو الطالب لا يمكنه إهمال هذا النوع من المصادر لفك العديد من القضايا المرتبطة بحضارة الإسلام في المشرق، ذلك أنها غنية بمعلومات تاريخيةدقيقة قلما نجدها في مصادر التاريخ، فغالبية مؤرخيها شهود عيان لأحداث أو نقلوا مباشرة عن شهود عيان سبقوهم وحفظوا لنا مؤلفاتهم، وقد أصاب روزنتال[[13]](#footnote-13) حين قال: "...وفي كل كتاب جغرافي تقريبا بعض المعلومات التاريخية" كما أكد[[14]](#footnote-14) على أن هناك من المؤلفات الجغرافية التي تحوي في أغلبها أحداثا مرتبطة بالمصر أو المنطقة التي يقع وصفها، كما أضاف كراتشوفيسكي: "إلا أن عددا من فروع الأدب اكتسب أهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيق، ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي، الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي، إذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ أو الجغرافي فحسب، بل أيضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين، وللغوين وعلماء الطبيعة، ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافي على البلاد العربية وجدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها، وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام. وقد يحدث أحيانا أن تمثل المادة الجغرافية العربية إما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر معين"[[15]](#footnote-15)

 وقد جاءت المراجع تؤكد على أهمية روايات المؤرخ إذا جمع بين الكتابة التاريخية وبين الرحلة في جمع الخبر التاريخي، ويعتبر المسعودي من أهم من مثل هذه الأهمية من خلال كتبه ومؤلفاته[[16]](#footnote-16)، وقد تميز العديد من الرحالة بالجمع بين الدقة في جمع الروايات التاريخية دون الاكتراث للأساطير التي صادفتهم في البلاد التي زاروها، مثل البلاذري والاصطخري واليعقوبي، فضلا عن البيروني والإدريسي وياقوت الحموي وابن جبير[[17]](#footnote-17)، بل اعتبر أحد الباحثين[[18]](#footnote-18) أن القدامى لا يكادون يميزون بين التاريخ والجغرافيا، فكان هذا سببا رئيسيا لتصنيف مؤلفات الرحالة والجغرافيين من المصادر الأساسية في البحث التاريخي، واعتبرت الرحلات العلمية القائمة على المشاهدة والمعاينة أكثر إفادة لأنها تقرب من الواقع المراد دراسته.

ويمكن إحصاء مجموعة من الجوانب التي تثريها كتب الرحلة والجغرافيا فيما يلي:

**ج/1- الوصف الجغرافي والنشاط الاقتصادي:**

* وصف المدن والحواضر والقرى والبوادي وصفا دقيقا مفصلا، يشمل معلومات عن تاريخها وتاريخ بنائها وأهم آثارها وبنيتها ومختلف الوظائف الموجودة فيها[[19]](#footnote-19)، ويذهب الباحثون إلى أن الكثير من الرحالة سمحوا لنا معرفة أسماء الأماكن[[20]](#footnote-20) مما هي معروفة أو غير ذلك، ومما بقي أثرها واسمها أو لم تبق، وتحديدها على الخريطة الجغرافية، مما يسمح بتكوين أطلس جغرافي تاريخي حول مدن العالم الإسلامي ومدن الدول المعاصرة آنذاك.
* وصف طرق المواصلات (اعتمادا على البريد) وذلك من جهة طوبوغرافيتها واتجاهاتها والمدن الواقعة عليها، والمسافات الفاصلة بين هذه المدن ومستوى الأمن فيها، فقد حدد لنا قدامة بن جعفر (310ه/922م أو 320ه/932م) في كتابه "الخراج وصنعة الكتابة" أقسام العالم الإسلامي والجباية والبريد وطبع ضمن المؤلفات الجغرافية[[21]](#footnote-21).
* وصف المظاهر الطبيعية المختلفة من جبال وبحار وبحيرات وأنهار...، ونجد ابن الفقيه الهمذاني (أواخر القرن 3ه/9م) له كتاب "مختصر تاريخ البلدان" وصف به الأرض والبحار والصين والهند وبلاد العرب وغيرها وأفاض في وصف البصرة والكوفة[[22]](#footnote-22)، ويعتبر المسعودي أيضا من أعلام التاريخ والجغرافيا الذين اهتموا بالوصف الطبيعي لما يشتمله الكون من مدن وبحار ومحيطات وجبال وأنهار وجزر...[[23]](#footnote-23)، وقد أخذ المناخ أيضا حقه من الاهتمام وسمحت لنا هذه المؤلفات بمعرفة تأثيرات الطقس على النشاطات الاقتصادية في كل المناطق التي وصفها الرحالة والجغرافيون.
* تحتل الروايات التاريخية المتضمنة في كتب الرحلة - خاصة كتب الفتوح والمسالك - أهمية كبيرة في التوثيق التاريخي إذا كانت تتعلق بحساب المسافات، وحساب موارد الخلافة والنظم المالية والرسوم والضرائب، وتصنيف الأراضي الزراعية[[24]](#footnote-24) وغيرها من المعلومات التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة التاريخ الاقتصادي والجغرافي خاصة المناطق البعيدة عن الخلافة أو التي لم تقدم لنا كتب الاسطوغرافيا معلومات كافية عنها.
* ذكر النشاطات الاقتصادية[[25]](#footnote-25) من:

 الزراعة (ثمار، خضر وفواكه، حبوب مساحات زراعية، منتوجات متنوعة...)

والحرف والصناعات (موادها الأولية، أنواعها، أماكنها...)، فقد ذكر الاصطخري المعادن في الكثير من البلاد مثل مصر، والبحرين وصنعاء وشواطئ عدن، وذكرها في فارس فقال: "وفي بلاد فارس عامة المعادن، الفضة والحديد والإنك والكبريت، والنفط والصفر والزئبق، وبغربي أصبهان معدن الكحل"[[26]](#footnote-26)، كما تحدث ابن رسته في كتابه الأعلاق النفيسة عن أصبهان وخيراتها الطبيعية الاقتصادية مثل: الثمار والمعادن[[27]](#footnote-27).

العلاقات التجارية (التجارة الداخلية، الطرق التجارية، التجارة الخارجية، المعاملات، وسائل النقل، الصادرات، والواردات...)

* الضرائب والمكوس الشرعية وغير الشرعية: الخراج، الزكاة العشر ...، أشهرها ما كتبه قدامة المذكور أعلاه في كتابه "الخراج وصنعة الكتابة"

**ج/2-**  **الظواهر الاجتماعية:**

* وصف العادات والتقاليد السائدة في بلد معين من مظاهر الاحتفالات والألبسة وأنواع الأطعمة والأشربة والعلاقات الأسرية وغيرها، وقد كان المقدسي "يعني بالأخبار الطريفة والعادات غير المألوفة"[[28]](#footnote-28).
* الإشارة إلى طبقات المجتمع، حيث نجد الإدريسي يذكر فئة العبيد وطرق استرقاق الأطفال ودورهم الاجتماعي والاقتصادي[[29]](#footnote-29).
* المستوى الاجتماعي (الرفاهية، الفقر، الاكتفاء الذاتي، الأمن الغذائي...)، فقد تحدث الإدريسي عن مقياس الغنى لدى بعض التجار من خلال ملكيتهم لعدد معين من الدواب والنقود[[30]](#footnote-30).
* تعتبر مصادر الرحلة ملاذا لمعرفة الجماعات البشرية والتجمعات القبلية، واستقرارها وهجرتها مما يسهل رسم خريطة لحياة البشرية[[31]](#footnote-31) وأصولها وتأثيراتها الاجتماعية.

**ج/3- الاتجاه الديني والنشاط العلمي:**

* الحواضر العلمية: علماؤها، برامج التعليم المعتمدة، المذاهب، المناظرات...، خاصة زمن ازدهار الحضارة الإسلامية فقد ظهر ترتيب الأماكن الجغرافية على حسب حروف المعجم مع إضافة أحداث تاريخية وتراجم مختصرة لأهم الشخصيات العلمية ودورها الثقافي وأثرها العلمي عند وصف كل مدينة، ونجد ذلك واضحا عند ياقوت الحموي (ت620ه/1223م) [[32]](#footnote-32).
* مذهب الدولة والمذاهب المعارضة أو المتعايش معها، ويبدو ذلك واضحا في مؤلف ناصر خسرو خلال القرن 5ه/11م، الذي ألف كتاب سفر نامة حيث صال وجال بين بلاد فارس والهند والصين وبلاد العرب، وزار الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله ما بين 439ه/1047م 441ه/1049م، وأعجب برخائها واعتبر أن الرخاء والاستقرار في وادي النيل راجع إلى الدولة الفاطمية ومذهبها الإسماعيلي.
* الطوائف الدينية غير الإسلامية، فقد ذكر الإصطخري مثلا أن: "بلاد النوبة نصارى"[[33]](#footnote-33)

**ج/4- الواقع السياسي:**

* تذكر مصادر الرحلة والجغرافيا في ثناياها الكثير من المعلومات حول نظام الحكم وتفيدنا بأسماء للحكام ونظمهم وعلاقاتهم، ويصور لنا الرحالة في الغالب مظاهر الأمن والاستقرار أو الحروب والفوضى التي تصادفه أثناء تواجده بالدولة القائمة آنذاك.
* تمكننا هذه المؤلفات من رسم الحدود الجغرافية للكثير من المناطق والأعمال، لمعرفة تصنيفها وتحديد مساحتها فالبحرين التي نعرفها اليوم بمساحة ضيقة، عرفت في القديم بمساحة واسعة امتدت من ساحل البحر شرقا إلى اليمامة غربا، ومن البصرة شمالا إلى بلاد عمان جنوبا[[34]](#footnote-34).
* شهادات على بعض الأحداث السياسية والعسكرية التي عايشوها: العدل أو الظلم السياسي، المعارك، الصراعات....، ففي رحلاته دون ابن الفقيه الهمذاني أن المسلمين لم يكونوا راضين عن أعمال معاوية، لأنه لم يساوي بينهم، فنقموا عليه خصوصا الفقهاء وأهل التقوى[[35]](#footnote-35).
* تحدثت كتب الرحلة والجغرافية عن العلاقات بين المسلمين والشعوب الأخرى من خلال الرحلات الدبلوماسية مثل رحلة ابن فضلان لبلاد البلغار، ومن خلال هذه المصادر أيضا نستكشف الآخر في الحضارة الإسلامية والشعوب غير الإسلامية ونظرة الرحالة إليها، فقد وصلتنا أخبار متنوعة عن بلاد أوروبا والشرق الأقصى في مؤلفاتهم لم ترد في نصوص أخرى، ويعتبر الإدريسي من أهم الرحالة الجغرافيين الذين قدموا لنا معلومات موثوقة ودقيقة حول البلاد الواقعة على حوض البحر المتوسط مثل: فرنسا وإنجلترا وصقلية... [[36]](#footnote-36)؛ هذا ما جعل رحلة ابن بطوطة تكتسي أهمية كبرى في التأريخ للعلاقات الدولية في عصره، فقد استعرض أقطاب الدول الكبرى التي كانت تهيمن على العالم في عصره وسلاطينها وملوكها من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، ومختلف الصراعات القائمة آنذاك بالإضافة إلى السفارات بين دول العالم ومظاهر السلم المعروفة في ذلك الزمن[[37]](#footnote-37).

**ج/5- الجانب العمراني:**

* يذكر الجغرافيين[[38]](#footnote-38) كثيرا تاريخ بناء المدن، ومواقعها وأهمية تلك المواقع من خلال إبراز شروط التمدن بها، ويتعرضون لأسباب ذلك والعهود التي ترجع إليها، وبعض الوحدات الرئيسية بها خاصة المساجد والحصون والأسوار والأسواق وغيرها، ويعتبر ابن الفقيه الهمذاني من بين الجغرافيين الذين تحدثوا عن البصرة والكوفة وأوليتهما في البناء على العهد الإسلامي، وطريقة بنائهما، وخططهما وعرش الشوارع العظمى بهما وغيرها من المعلومات التي تفيد فكر التمدن في العالم الإسلامي[[39]](#footnote-39)، كما أفادنا ابن رستة بطرق البناء في صنعاء والطرق الهندسية التي تستعمل للحماية من الأخطار والأمطار ومواد البناء، وغيرها من المعالم مثل المسجد الجامع والقلعة الموجودة بها...[[40]](#footnote-40)، وأثبتت المراجع[[41]](#footnote-41) أن هذه المؤلفات تفيد الباحث والطالب في معرفة مناطق توفر المياه وعلاقتها بالتجمعات السكنية، وتهيئة واستغلال هذا العنصر في الحياة اليومية، وشق القنوات وإنشاء السقايات وغيرها من المعلومات التي تهملها أقلام مؤرخو الحوليات وكتب السياسة.

**الإشكالات المنهجية:** يتعرض الطالب إلى الكثير من الصعوبات في تعامله مع هذه المصادر وتوظيفها منها:

* تختلط الأسطورة بشكل كبير في مرويات الرحالة للمكان الذي يحاول تصويره، إذ كثيرا ما سيقت حكايات في الثقافة الإسلامية وتم اعتمادها من طرف المؤرخين والباحثين دون تمحيص، وأضحت حقائق تاريخية متداولة ومتواترة بين المؤلفات وعلى لسان الرواة[[42]](#footnote-42)، لذلك من الضروري الوقوف عند الرواية وتحكيم العقل والمنطق عند استعمالها حتى لا يقوم الباحث أو الطالب بخلط الحقائق مع الأساطير الشعبية والروايات الأسطورية الشائعة في ذلك العصر.
* أحيانا يشبع الرحالة خياله بالعجيب من الأخبار الفريد من الظواهر ليضفي طابع التشويق على أوصافه ومروياته[[43]](#footnote-43)، وهذا الأمر يفرض الحذر وغربلة الحقائق منها دون إهمالها كلية[[44]](#footnote-44).
* من العوائق التي يصادفها الباحث في التاريخ أن طريقة وهدف الرحالة في عرض وصناعة الرواية التاريخية تختلف عما يصبو إليه المؤرخ، فهو لا يتقيد بالتسلسل الزمني، ولا يكتب حسب طريقة الحوليات، ولا يدقق في ذكر إسناد روايته، ويكتفي برواية ما يسمعه ولو من شخص واحد[[45]](#footnote-45).
* ما يذكر حيني آني لا يمكن تعميمه، فقد يشاهد الرحالة مظاهر فجائية مثل تواجد قطاع طرق أو علماء أو أي ظاهرة معينة أو حرب أو مجاعة فيقدم لنا انطباعا سيئا ودائما عن المكان الذي زاره.
* شرح الظاهرة من جانبها الوصفي لا من جوانبها العميقة التي تمكننا من معرفة خلفياتها وظروفها والقوى الفاعلة فيها، هذا ما جعل بعض الباحثين يؤكدون على أن الإدريسي "لم ينكب على دراسة كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمجتمع...بل وضع كتابا عاما وشاملا للحضارة على المستوى العالمي"[[46]](#footnote-46).
* هناك من ينقل ولم يشاهد بشخصه
* شاملة وغير كافية، طابع النسبية: يصف ما يوافق شخصيته ولا يكترث لما لم يجذب انتباهه.
* من الإشكالات التي قد تعترض الطالب في تعامله مع المصادر، وتشكل أمامه صعوبة بسبب قلة خبرته في التعامل مع هذا النوع من المصادر وهي تناثر المعلومات الاجتماعية[[47]](#footnote-47) بين ثنايا المؤلفات ويحتاج إلى صبر لجمعها وشرحها وفهمها تم توظيفها في شكل مادة تاريخية قابلة للقراءة والدراسة.
1. - ابن منظور، لسان العرب، 2011م، ج18، ص1610-1611. [↑](#footnote-ref-1)
2. - أحمد رمضان أحمد، **الرحلة والرحالة المسلمون**، جدة: دار البيان العربي دت، ص1610-1611. [↑](#footnote-ref-2)
3. - عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر 1416ه/1995م، ص25-26/ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 170. [↑](#footnote-ref-3)
4. - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص49/ أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص46-49. [↑](#footnote-ref-4)
5. - إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ص40/ أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص34. [↑](#footnote-ref-5)
6. - عمر بن حمادي، "الرحلة عند المسلمون في العصور الوسطى: أصنافها وأهميتها"، **المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية**، 2010م، ع139، ص75. (ص 73-95) [↑](#footnote-ref-6)
7. - ينظر مثلا: الخزاعي، أبو علي الحسن بن محمد، **مختصر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية،** إعداد أحمد مبارك البغدادي، الكويت: مكتبة السندس 1410ه/1990م/ أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة، مرجع سابق، ص9/ نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب: سليمان التاجر، **عجائب الدنيا وقياس البلدان**، دراسة وتحقيق سيف شاهين المريخي، منشورات مركز زايد للتراث والتاريخ (دت)، ص8. [↑](#footnote-ref-7)
8. - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة، مرجع سابق، ص9-10. [↑](#footnote-ref-8)
9. - إبراهيم شبوح، "أنظار في بعض مشكلات النص الجغرافي التراثي"، أبحاث المؤتمر الخامس: **علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية**، 24-25/11/ 1999م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن: 1426ه/ 2005م، ص81. [↑](#footnote-ref-9)
10. - للتوسع ينظر: رشدي راشد، "العلوم الرياضية المتعلقة بكوكب الأرض"، أبحاث المؤتمر الخامس: علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، مرجع سابق، ص7-29. [↑](#footnote-ref-10)
11. - النديم، الفهرست، ص109/ عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص25-26/ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 170. [↑](#footnote-ref-11)
12. - أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص67-68. [↑](#footnote-ref-12)
13. - علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص149. [↑](#footnote-ref-13)
14. - المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-14)
15. -إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، مرجع سابق، ص17. [↑](#footnote-ref-15)
16. - نوفل محمد نوري، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الأسطورة والحقيقة دراسة تاريخية"، **مجلة أبحاث**، كلية التربية الأساسية الموصل، 2011م (مج11، ع1)، ص260. [↑](#footnote-ref-16)
17. - للتوسع والتفصيل حول دقة هؤلاء الرحالة ونماذج تثبت تمحيصهم للروايات التاريخية، ينظر: المرجع نفسه، ص261-264. [↑](#footnote-ref-17)
18. - محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، **أدب الرحلة والتواصل الحضاري**، مكناس: جامعة المولى إسماعيل 1993م، ص250، 254، 255. [↑](#footnote-ref-18)
19. - يعتبر البكري من أشهر الجغرافيين الذين اهتموا بالجانب الوصفي والتاريخي الجغرافي للمدن، فقد أسهب في وصف مدن اليمن وشهرتها العمرانية والتاريخية وحتى الدينية، ينظر مثلا: البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية 2003م/ 1424م، ج1، ص279-282. [↑](#footnote-ref-19)
20. - نقلا عن مقدمة التحقيق: ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: **تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية 1417ه/1997م، ص10-11. [↑](#footnote-ref-20)
21. - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص55. [↑](#footnote-ref-21)
22. - المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-22)
23. - فرانز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص151. [↑](#footnote-ref-23)
24. - نوفل محمد نوري، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي..."، مرجع سابق، ص265. [↑](#footnote-ref-24)
25. - لا تكاد تخلو كتب الرحلة والجغرافية من هذه المعلومات إلا ما كان منها ذو طابع علمي أو هدفه الزيارة والحج. [↑](#footnote-ref-25)
26. - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، مرجع سابق، ص82. [↑](#footnote-ref-26)
27. - المرجع نفسه، ص80. [↑](#footnote-ref-27)
28. - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص57. [↑](#footnote-ref-28)
29. - للتفصيل ينظر: محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق"، مرجع سابق، ص68. [↑](#footnote-ref-29)
30. - للتفصيل ينظر: المرجع نفسه، ص68-69. [↑](#footnote-ref-30)
31. - للتفصيل ينظر: المرجع السابق، ص70-71. [↑](#footnote-ref-31)
32. - فرانز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص149. [↑](#footnote-ref-32)
33. - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، مرجع سابق، ص84. [↑](#footnote-ref-33)
34. - البكري، المسالك والممالك، ج1، ص285. [↑](#footnote-ref-34)
35. - المرجع السابق، ص85-86. [↑](#footnote-ref-35)
36. - حول الإدريسي ودوره في التأريخ لمثل هذه الشعوب ينظر: محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق"، مرجع سابق، ص58. [↑](#footnote-ref-36)
37. - نقلا عن مقدمة تحقيق: ابن بطوطة، رحلة، ص135-140. [↑](#footnote-ref-37)
38. - القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 622ه/1225م): **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت: دار صادر، (دت)، ص 4-8. [↑](#footnote-ref-38)
39. - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، مرجع سابق، ص87. [↑](#footnote-ref-39)
40. - المرجع نفسه، ص92-93. [↑](#footnote-ref-40)
41. - ينظر مثلا: محمد حمزة إسماعيل الحداد، "كتب التاريخ المحلي والرحالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكة المكرمة والمدينة المنورة"، **حولية الآداب والعلوم الاجتماعية**، الكويت، مارس 2006م (26)، ص8-115. [↑](#footnote-ref-41)
42. - نوفل محمد نوري، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي..."، ص250، 254، 255. [↑](#footnote-ref-42)
43. - المرجع نفسه، ص250. [↑](#footnote-ref-43)
44. - للاطلاع على بعض الروايات التاريخية الصحيحة التي اختلطت بالخرافات والأساطير ينظر: المرجع نفسه، ص256-258. [↑](#footnote-ref-44)
45. - المرجع نفسه، ص253. [↑](#footnote-ref-45)
46. - محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق..." مرجع سابق،، ص70. [↑](#footnote-ref-46)
47. - المرجع نفسه، ص67. [↑](#footnote-ref-47)